Omdurman Islamic University Journal(OIUJ)

مجلة جامعة أم درمان الاسلامية

https://journal.oiu.edu.sd/index.php/oiuj

2022; 18(2); 40-57

https://doi.org/ 10.52981/oiuj.v18i2.2281

ISSN: 5361-1858

فتنة الجلالية في مكة المكرمة (شعبان1041-محرم 1042هـ/ مارس1632-أغسطس1632م)

The strife of Jalalyah in Makka (1041-1042 A.H/1632 AD)

د. عمرو بن إبراهيم العمرو – أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد بقسم التاريخ –كلية ...– جامعة القصيم – المملكة العربية السعودية

Amro Ibrahim Alamro

Dr .Assistance professor of modern and Contemporary history -History department Qassim university

للاستشهاد بهذا المقال:–

إبراهيم العمرو ع. ب. (2022). فتنة الجلالية في مكة المكرمة (شعبان1041-محرم 1042هـ/ مارس1632-أغسطس1632م). مجلة جامعة امدرمان الاسلامية, 18(2), 40-57. https://doi.org/10.52981/oiuj.v18i2.2281

المستخلص :

تأتي هذه الدراسة لتسلط الضوء على إحدى الوقائع المهمة في تاريخ مكة المكرمة خصوصاً، والحجاز عموماً؛ ففي سنة (1041هـ/1632م) قدم إلى مكة المكرمة مجموعة من العساكر الجلالية، قادمين من بلاد اليمن في طريقهم إلى مصر؛ بسبب اضطراب الأوضاع السياسية والاقتصادية آنذاك، وبعد وصولهم إلى قرب مكة المكرمة طلبوا من أميرها زيد بن محسن السماح لهم بالدخول إليها، إلا أنه رفض ذلك خوفاً منهم، فنسقت العساكر الجلالية مع الشريف نامي بن عبد المطلب فدخلوها عنوةً بعد معركة غير متكافئة مع الذين حاولوا التصدي والمواجهة لهم، وسيطروا على مكة المكرمة، وانتخبوا الشريف نامي بن عبد المطلب أميراً عليها بمشاركة الشريف إدريس بن عبد العزيز، ثم تمدَّدوا بعد ذلك باتجاه مدينة جدة فسيطروا عليها، وانسحب الشريف زيد بن محسن واتجه إلى المدينة المنورة، وبدأ من هناك بمراسلة حكَّام مصر العثمانية لمساعدته في مواجهة خطر هؤلاء العساكر الجلالية، وتخليص البلد الحرام وبلاد الحجاز من قبضتهم، فاستجابت حكومة مصر العثمانية لطلبه وجهَّزت حملة عسكرية للتوجه إلى الحجاز والقضاء عليهم، وإعادة الحكم للشريف محسن مرة أخرى، واستطاعت هذه الحملة القضاء عليهم.

وقد نتج عن هذه الحادثة التاريخية أن استبيحت مكة المكرمة، وسفكت الدماء، وهُددَّ أمن وسلامة الحجاج والمعتمرين، فضلاً عن انعدام الأمن في البلد الحرام وما حوله عموماً.

الكلمات المفتاحية: فتنة، الجلالية ، الأشراف ، مكة ، العثمانيين ، مصر.

Abstract :

The strife of Jalalyah in Makka (1041-1042 A.H/1632 AD)This study highlights one of the important facts in the history of Makkah in particular, and Hejaz in general, where a group of Jalalyan soldiers came to Mecca in the year (1041 A.H/1632 AD, coming from Yemen on their way to Egypt, due to the turmoil of the political and economic situation at the time. After they approached Makkah, the soldiers asked its governor Zaid bin Mohsen to allow them to enter it, but he refused their request fearing of them. The soldiers of Jalalyah, with arranging with Sharif Nami bin Abdull-Muttaleb, entered Makkah after an unequal strife with those who tried to confront them. The Jalalyan soldiers and their assistants of Sheriffs took control of Mecca and elected Sharif Nami bin Abdull-Muttaleb as a governor of Makkah sharing with Sharif Idris bin Abdul Aziz, and then extended towards Jeddah and took control of it. After he withdrew, Al-Sharif Zaid bin Mohsen went to Madinah and wrote to the rulers of Ottoman Egypt to help him face the danger of these Jalalyan soldiers, and rescuing the sacred town of Makkah and region of Hijaz from their control. The Ottoman Government of Egypt responded to his request and prepared a military campaign to go to Hijaz and eliminate them, and to re-rule Sharif Mohsen again. This campaign managed too eliminate them.

Because of this historic strife, Makkah was invaded, blood was shed, and the security and safety of pilgrims and visitors were threatened, as well as insecurity in the sacred Makkah and around it in general.

Keywords: Strife, Jalalyah, Al-Ashraf, Makka, Ottomans, Egypt

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عانت مكة المكرمة خلال الفترة من (1041-1042هـ/ 1632م)، من القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي اضطراباً في الأوضاع السياسية على أثر قيام مجموعة من العساكر الجلالية المناهضين لحكَّامهم والفارين من وحداتهم العسكرية في اليمن، وبالتعاون مع بعض الأشراف المناوئين لأمراء مكة المكرمة بزعامة الشريف نامي بن عبد المطلب، فقد احتدمت المنافسة على النفوذ في بلاد الحجاز، وانعكس ذلك سلباً على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بعد أن ركَّزت القوى المهيمنة على بسط نفوذها السياسي في مكة المكرمة بالقوة، مهملةً أثناء صراعها حرمة وقداسة مكة ومكانتها في العالم الإسلامي، وتكمن أهمية الموضوع في الآتي:-

- دراسة أوضاع مكة المكرمة قُبيل فتنة الجلالية.
- الوقوف على أحداث فتنة الجلالية.
- معرفة نهاية فتنة الجلالية.

أما من الناحية المنهجية فقد تناولت الدراسة الموضوعات الآتية:-

- أوضاع مكة المكرمة قُبيل فتنة الجلالية.
- أحداث فتنة الجلالية.
- نهاية فتنة الجلالية.

وقد اعتمدت الدراسة على عدد من المصادر التاريخية التي كانت عاصرت تلك الفترة، ويأتي في مقدمتها: محمد بن عبد الله الحسيني الموسوي (ت1070هـ/1659م) في كتابه: "رحلة الشتاء والصيف"، ومحمد بن أبي السرور البكري (ت1087هـ/1676م) في كتابه: "النزهة الزهية في ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية"، ومحمد بن أبي بكر الشلي(ت1093هـ/1682م) في كتابه: "عقد الجواهر والدر في أخبار القرن الحادي عشر". إضافة إلى مجموعة من المصادر والمراجع الأخرى التي حوتها هوامش الدراسة، وسُطرت في قائمة المصادر والمراجع.

فتنة[*1] الجلالية [*2]في مكة المكرمة سنة 1041هـ/1632م

مكة المكرمة قُبيل فتنة الجلالية:

تعاقب على إمارة مكة المكرمة عدد من الأمراء الأشراف خلال النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، كان آخرهم الشريف عبد الله بن الحسن بن أبي نمي، الذي تولى إمارتها بعد وفاة ابن أخيه الشريف مسعود [3]سنة 1040هـ/1630م، وكان رافضاً للإمارة إلا أن الأشراف والعلماء والفقهاء والأعيان ألحوا عليه بذلك[4]، فوافق خوفاً من الفوضى التي قد تنتج بسبب الفراغ السياسي [5].وبعد انتهاء موسم حج عام1040هـ/1631م خلع نفسه عن الإمارة في محرم 1041هـ/يوليو 1631م، وأسندها لابنه الشريف محمد، وأشرك معه الشريف زيد بن محسن[*6] في غرة صفر سنة 1041هـ/ أغسطس 1631م [1] ؛وذلك من أجل رأب الصدع، ولم الشمل واستقرار الأوضاع داخل الحجاز .[2]

(*)[1] من الملاحظ أن أغلب المصادر التي تحدثت عن هذه الحادثة قد وصفتها بـ (الوقعة)، بينما يرى الباحث أنها: (فتنة) لا تختلف كثيراً عن الفتن التي ظهرت عبر التاريخ؛ لأن ما أحدثته من اضطراب أمني في مكة المكرمة يجعلها فتنة قال تعالى" والفتنة أشد من القتل". البقرة :آية191.

[2] (*) الجلالية: مصطلح أُطلق في العهد العثماني على طائفة من الجنود تمرَّدت على الدولة، وترجع البوادر الأولى لهذه الحركة إلى ثورة تركمانية قامت في سنة (922-925هـ/1516-1519م) بالقرب من إقليم توقات شرق الأناضول بزعامة رجل صفوي اسمه(جلال) لقب نفسه بالمهدي، وجمع حوله عدد كبيراً من أنصار المذهب الشيعي، وحاول الانفصال على الدولة العثمانية في عهد سليم الأول، وقد حرص السلطان على القضاء عليهم، فأرسل حملة من الانكشارية نجحت في 23 ربيع الآخر سنة 925هـ/24 أبريل 1519م في القضاء على هذه الحركة، كما قتل الآلاف من أتباعها، ثم اتخذت جميع الحركات الانفصالية اسم الجلالية شعاراً ورمزاً لها. أنظر: السيد: عفاف مسعد، دور الحامية العثمانية في تاريخ مصر (1564-1609هـ) سلسلة تاريخ المصريين العدد (179) الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، 2000م، ص253، هامش 192؛ وحلاق: حسن وزميله، المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، سبتمر1999م، ص65.

()[3] هو الشريف مسعود بن إدريس بن الحسن بن أبي نمي الثاني(ت1040هـ/1630م)، شريف حسني من أمراء مكة المكرمة وليها في سنة 1039هـ/1630م على أثر خطة دبرها مع قانصوه قتل بها سلفه أحمد بن عبد المطلب، واستمر في الحكم عام وشهرين، وفي أيامه وقع مطر عظيم ودخل السيل المسجد الحرام وسقط جزء من البيت الشريف وتوفي نحو ألف إنسان، توفي بمكة المكرمة ودفن فيها. أنظر: الزركلي: خير الدين بن محمود، الأعلام، ج7، ط6، دار العلم للملايين، بيروت1984م، ص216؛ وعبد السلام: أيمن أحمد عبد الفتاح، دور مصر في الصراع على الحكم بين أشراف الحجاز: أزمة الشريف حمود مع الشريف سعد1077هـ/1666م، أنموذجا، الناشر جامعة الأزهر، مج3، كلية اللغة العربية بالزقازيق2018م، ص1543.

()[4] العصامي: عبد الملك بن حسين بن عبد الملك، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، ج2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت1419هـ/1998م، ص429.

()[5] السنجاري: علي بن تاج الدين بن تقي الدين، منائح الكرم في أخبار مكة وولاة الحرم، تحقيق ماجدة فيصل زكريا، ج4، ط1، جامعة أم القرى، مكة المكرمة1419هـ/1998م، ص.ص89-90.

(*)[6]هو الشريف زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبي نمي شريف مكة الحسني، ولد بمكة سنة 1014هـ/1605م، وتربى في حجر والده، وسافر معه إلى اليمن، وعاد إلى مكة حينما توفي والده. وحينما توفي الشريف مسعود مقتولاً دار الخلاف على من يتولى وانتهت القضية بتولية زيد بن محسن، ظل في الحكم مدة خمسة وثلاثين سنة في إمارة مكة، وتوفي سنة 1077هـ/1666م. أنظر المحبي: محمد الأمين بن فضل الله بن محب الله، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج3، (د.ط)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت)، ص.ص176-186.

وقد أرسل للسلطان العثماني يطلب منه الموافقة على ذلك [3]،فجاءته الموافقة من السلطان العثماني مراد الرابع [*4]،وأُلبسا الخلعتين وقرئ مرسومهما في 7جمادى الأولى سنة 1041هـ/30 ديسمبر 1631م، وخُطب لهما على المنابر، فاستقرت الأوضاع الداخلية في مكة المكرمة [5]،وتفَّرغ هو للعبادة حتى توفي ليلة الجمعة 10 جمادى الآخرة سنة 1041هـ/ 2 يناير2632هـ.[6]

كان الشريف نامي بن عبد المطلب بن الحسن بن أبي نمي[*7]،قد غادر مكة المكرمة غاضباً بعد مقتل أخيه الشريف أحمد بن عبد المطلب[*8] ،على يد قانصوه باشا[*9] ،قائد الحملة العثمانية على اليمن[*1] ،فوصلته الأخبار أن جماعة من عساكر الجلالية وعددهم

()[1]الموسوي: رضي الدين بن محمد بن علي بن حيدر، تنضيد العقود السنية بتمهيد الدولة الحسنية، تحقيق السيد مهدي الرجائي، ج2، ط1، معهد الدراسات لتحقيق أنساب الأشراف، إيران1431هـ، ص205.

()[2]السنجاري: منائح الكرم، ج4، ص.ص89-90

()[3] العصامي: سمط النجوم، ج4، ص426.

(*)[4]هو السلطان مراد خان الرابع ابن السلطان أحمد الأول ابن السلطان محمد الثالث (1032-1049هـ/ 1623-1640م) ولد في 28 جمادي الأولى سنة 1018هـ/ 29 أغسطس 1609م، ولاه والده الإنكشارية مع حداثة سنة، وتم في عهده فتح أريون، واسترجاع بغداد من العجم، وله العديد من الفتوحات. توفي في مقتبل العمر في 16 شوال سنة 1049هـ/فبراير سنة 1640م، وعمره 31 سنة، ومدة حكمه 16 سنة و11 شهراً. أنظر المحامي: محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت1401هـ/1981م، ص.ص280-285.

()[5] الصباغ: محمد بن أحمد بن سالم بن محمد المكي، تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام، دراسة وتحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ج1، ط1، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة1424هـ/2004م، ص.ص782-783.

()[6]الغازي: عبد الله (ت1365هـ/1945م)، إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، تحقيق: عبد الملك عبد الله دهيش، ج3، ط1، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، 2009م، ص402.

(*)[7] هو الشريف نامي بن عبد المطلب بن الحسن بن أبي نمي الثاني(ت1041هـ/1632م)، ولد ونشأ بمكة المكرمة، وقد تولى إمارتها، عُرف بالشجاعة والحزم. أنظر بيومي: محمد علي فهيم، مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني في الفترة923-1220هـ/1517-1805م، دار القاهرة للكتاب، القاهرة1421هـ/2001م، ص209.

(*)[8]هو الشريف أحمد بن عبد المطلب بن الحسن بن أبي نمي الثاني(ت1039هـ/1629م)، شريف حسني من أمراء مكة المكرمة انتزع الإمارة من ابن عمه الشريف محسن بن حسين في سنة 1037هـ/1627م، وساعده أحمد باشا والي اليمن في ذلك، فأقام بها سنة وأربعة أشهر، كان ظالماً، وقد سلب التجار أموالهم، وقتل مفتي مكة المكرمة عبد الرحمن المرشدي وفرَّ من مكة المكرمة في عهده بعض الأشراف، قتله قانصوه باشا خنقاً. أنظر الموسوي: محمد بن عبد الله الحسيني، رحلة الشتاء والصيف، تحقيق محمد سعيد الطنطاوي، ط2، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت1385هـ، ص78.

(*)[9] هو أحمد قانصوه باشا تولى إمارة الحج سنة 1037هـ/1628م، وأصدر السلطان العثماني مراد الرابع فرمان بتعينه والياً على بلاد اليمن برتبة باشا(دام إقباله) بناء على مقترح والي مصر محمد باشا (1038-1040هـ/1628-160م)، وبذل جهودا كبيرة من أجل بسط السيطرة العثمانية على اليمن واستمر من سنة(1039-1045هـ/1629-1635م)، لكنه لم يستطع ضبط الأمن في اليمن، فاضطر لعقد هدنة مع الإمام المؤيد، وبعد شهر من عقد الهدنة غادر اليمن إلى مصر مما أدى إلى غضب السلطان العثماني الذي أرسل لواليه على مصر حسين باشا(1045-1047هـ/1635-1637م)، بضرورة القبض عليه وإحضاره إلى استانبول لعقابه على هروبه من اليمن إلى مصر سراً دون علم السلطان، وتم القبض عليه وإرساله إلى استانبول، فسجن، ثم قررت الدولة العثمانية إنهاء وجودها في اليمن وإجلاء قواتها منها. أنظر ابن الحسين: يحيى، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، ج2، (د.ط)، دار الكتاب العربي، القاهرة 1388هـ/1968م، ص.ص831-833-837؛ والحميدان: تركي بن حميدان، آثار نظام الحكم العثماني الأول في اليمن945-1045هـ/1538-1635م، مجلة وقائع تاريخية العدد28، كلية الآداب، جامعة القاهرة يناير2018م، ص205.

ألف رجل [2]،بقيادة شخص منهم يدعي كور محمود[*3] ،تركوا وحداتهم العسكرية في اليمن فراراً من قائدهم قانصوه باشا [4]،وعزموا المغادرة إلى مصر .[5]

وقد استمروا في سيرهم من اليمن حتى وصلوا القنفذة [*6]،فكاتبهم الشريف نامي، وتحالف معهم من أجل تحقيق طموحه في العودة إلى مكة وتولي الإمارة فيها .[7] هنا حدثت فتنة الجلالية.

– أحداث فتنة الجلالية:

انعكس تدهور أحوال الدولة العثمانية في استانبول ومصر على الأحوال الداخلية في اليمن؛ وقد تجلى ذلك من خلال الهزائم المتلاحقة التي مُنيت بها القوات العثمانية من قبل المتمردين المعارضين للحكم العثماني هناك، وفشل والي اليمن قانصوه باشا في مواجهتهم؛ فقد عجز عن توفير المخصصات المالية للجنود التابعين للدولة العثمانية، مما دفع بالجنود للتمرد والفرار من وحداتهم العسكرية، وتخليهم عن عقيدتهم القتالية التي تربوا عليها؛ فباعوا بعض أسلحتهم وخدماتهم العسكرية، وأشاعوا الفوضى.[8]

(*)[1]هي حملة عثمانية خرجت من مصر إلى اليمن في محرم1039هـ/1629م بقيادة قانصوه باشا؛ من أجل إسناد القوات العثمانية والقضاء على التمردات في اليمن، وقد باءت بالفشل واستسلم قائدها بعد أن منيت بهزيمة ساحقة وقُتل العديد من الجنود على يد قوات الإمام حسن بن زيد، وعلى إثر ذلك عُقدت معاهدة صلح غادرت بموجبه القوات العثمانية اليمن 1045هـ/1635م. أنظر سالم: سيد مصطفى، العلاقات اليمنية السعودية1158-1353/1745-1934م، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة2003م، ص45.

[2] (*) سالم: سيد مصطفى، الفتح العثماني الأول لليمن، ط5، دار الأمين للطباعة والنشر، القاهرة 1999م، ص403.

(*)[3]كور محمود: من العساكر الذين أرسلوا سابقاً مع قانصوه باشا إلى بلاد اليمن، ثم هرب منها وتزعم جماعة الجلالية الذين استباحوا مكة وتم القبض عليه، وقُتل تعزيراً في سنة 1041هـ/1632م. أنظر جارشلي: أشراف مكة، ص149.

[4](*)باشا: أيوب صبري، موسوعة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب، ترجمة محمد حرب، ج5، دار الآفاق العربية، القاهرة، (د.ت)، ص81.

[5](*) البكري: محمد بن أبي السرور، النزهة الزهية في ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية، دراسة وتحقيق: حياة بنت مناور الرشيدي، ج2، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة1418هـ/ .1997م، ص409؛ والبكري: محمد بن أبي السرور(ت1087هـ/1676م)، نصرة أهل الإيمان بدولة آل عثمان، تقديم وتحقيق وتعليق: سليم أبو جابر، ط1، مجمع القاسمي للغة العربية، الأمارات العربية المتحدة، 1423هـ/2012م، ص247. بينما ذكرت مصادر أخرى أنهم كانوا في طريقهم إلى الشام. أنظر: ابن الحسين، غاية الأماني، ص835؛ سالم: الفتح العثماني الأول لليمن، ص403.

(*)[6]القنفذة: هي المدينة والميناء الذي يقع على الساحل الشرقي للبحر الأحمر على قرابة (343) كم جنوب مكة، يحدها من الشمال الليث، ومن الجنوب والجنوب الشرقي محائل التابعة لعسير، ومن الشرق بارق التابعة أيضاً لعسير. أنظر: الحموي: معجم البلدان، ج4، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1399هـ/1979م، ص408؛ والبلادي: عاتق بن غيث، بين مكة واليمن رحلات ومشاهدات، ط2، دار مكة، مكة المكرمة 1404هـ، ص.ص112-113؛ والزيلعي: أحمد بن عمر، محافظة القنفذة من كتاب الرحلة اليمانية لشرف بن عبد المحسن البركاتي مع التركيز على معركة عجلان الفاصلة، مجلة المؤرخ العربي، العدد28، أكتوبر2020م، الناشر اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، ص491.

()[7]البهوتي: منصور بن يونس بن إدريس، إعلام الأعلام بقتال من انتهك حرمة البيت الحرام، تحقيق جاسم بن سلمان الدوسري، ط1، دار البشائر الإسلامية، بيروت1409هـ/ 1988م، ص7.

()[8]الدربي: محسن محمد عائض، الوجود العثماني في اليمن 1538-1635م قراءة جديدة من خلال الوثائق العثمانية، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق2010-2011م، ص.ص125-126.

وعندما وصلت فرقة منهم تدعى (الجلالية) إلى القنفذة، كاتب الشريف نامي بن عبدالمطلب قادتهم واستمالهم فقدموا إليه، ثم أرسل إلى شريفي مكة الشريف محمد بن عبد الله والشريف زيد بن محسن، وإلى مصطفى بيك صنجق [*1]،جدة المقيم في مكة المكرمة[2]، بأنهم يرغبون بالسماح لهم بالدخول إلى مكة المكرمة والبقاء فيها لبعض الوقت ثم مواصلة السير إلى مصر، إلا أن أميري مكة كانا خائفين من احتمال قيام هذه المجموعة العسكرية المتمردة بأعمال السلب والنهب وإشاعة الفوضى، كما كانا يدركان أطماع الشريف نامي في حكم مكة المكرمة، فرفضا الموافقة بالسماح لهم بالدخول اليها .[3]

وبعد أن وصل الرد من قبل أمراء مكة برفض السماح لهم بالدخول، قرَّر الشريف نامي وقادة العساكر الجلالية الزحف إلى مكة ودخولها عنوة[4]، فوصلت الأخبار للشريفين بنيَّة الشريف نامي ومن معه من العساكر الجلالية الهجوم على مكة، فاستعدا بعساكرهما وخرجا لمقاتلتهم يوم الجمعة 10شعبان سنة 1041هـ/ 29مارس 1632م، حتى وصلا إلى بركة ماجن[*5] ،ثم واصلا السير حتى التقى الطرفان عند قوز المكَّاسة[*6] ،أسفل مكة المكرمة، فجرت مفاوضات لم تنته بنتيجة، فلما كان يوم الأربعاء 25شعبان سنة 1041هـ/3مارس 1632م، حدثت المعركة بينهما[7]،فأبلي الشريف محمد بن عبد الله ومن معه بلاءً حسناً حتى أصيب بشظية قُتل

(*)[1]الصنجق: وجمعها في التركية صناجق، وهي أحد التقسيمات الإدارية في الدولة العثمانية وتعني المنطقة أو المقاطعة، وقد تكون الصنجقية مجرد رتبة، وصنجق طبلخانة، يجمع بين مصطلحين، الأول عثماني، والثاني مملوكي فبعض الأمراء في دولة المماليك كانوا أمراء طبلخانة أي يكسبهم مقامهم بعض الطقوس الخاصة مثل: دق الطبول وغيرها من الآلات الموسيقية لهم. أنظر غربال: شفيق، مصر عند مفرق الطرق 1798 – 1801 المقالة الأولى: ترتيب الديار المصرية في عهد الدولة العثمانية كما شرحه حسين أفندي أحد أفندية الروزنامة في عهد الحملة الفرنسية، نشره محمد شفيق غربال، مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية، القاهرة مايو 1936م، ص237؛ وهريدي: صلاح، دور الصعيد في مصر العثمانية، (د.ط)، دار المعارف، القاهرة1984م، ص.ص98-99.

()[2] جارشلي: إسماعيل حقي، أشراف مكة المكرمة وأمرائها في العهد العثماني، ترجمة خليل علي مراد، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 1424هـ/2003م، ص146.

()[3] الشلي: محمد بن أبي بكر، عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر، تحقيق: إبراهيم محمد المقحفي، ط1، مكتبة تريم الحديثة، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1424هـ/2003م، ص216؛ والصباغ: تحصيل المرام في أخبار بيت الله الحرام، ج1، ص785.

()[4]الرشيدي: أحمد، حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج، تحقيق ليلى عبد اللطيف أحمد، (د.ط)، مكتبة الخانجي، القاهرة1980م. ص190.

(*)[5]بركة ماجن: إحدى البرك الكبيرة بمكة المكرمة والمشهورة في حي المسفلة حالياً، وهي الآن منتزه كبير، وتنسب إلى باب كان في سور مكة من تلك الجهة، وقد حرف العوام الاسم إلى بركة ماجد، ويطلق عليها كذلك بركة ماجل نسبة إلى مكان تجمع المياه فيها حسب ما هو معروف لغوياً. الأزرقي: أبو الوليد، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، ج2، ط5، دار الثقافة، مكة المكرمة1408هـ/1988م، ص232.

(*)[6]قوز المكاسة: هو رمل صغير يقع جنوب غرب مكة في المسفلة أخذ اسمه من أن أمراء مكة كانوا يأخذون المكوس فيه على بضائع اليمن، وقد اتصل به العمران اليوم وجرى تصحيف الاسم إلى النكاسة. أنظر البلادي: عاتق، معجم معالم الحجاز، ج7، ط2، دار مكة، مكة المكرمة1403هـ، ص174.

()[7]الطبري: علي بن عبد القادر، الأرج المسكي في التاريخ المكي وتراجم الملوك والخلفاء، تحقيق أشرف أحمد جمال، (د.ط)، المكتبة التجارية، مكة المكرمة 1416هـ، ص132.

على أثرها، كما قُتل عدد من الأشراف من بني عمه، وحوالي مائتين من أهالي مكة المكرمة، ومن أتباع صنجق جدة[1]، وبمقتلهم اضطر الكثير من أتباعهم إلى التراجع، فانسحب الشريف زيد بن محسن من الأشراف إلى جهة مر الظهران[*2] ،ثم انسحب إلى بدر[*3] ،ثم إلى المدينة المنورة حيث استقر فيها[4]. بينما استمر العساكر الجلالية بقيادة الشريف نامي وكور محمود بهجومهم، حتى وصلوا مكة المكرمة فدخلوها عنوة [5]. وقاموا بأعمال قتل وسلب ونهب، فاستبيحت مكة، وآذوا الحجاج والمعتمرين والمجاورين، وخرج كثير من أهلها خوفاً على أنفسهم وأعراضهم من هؤلاء العساكر، وأصبحت مكة في فتنة عظيمة لم يحدث مثلها. بعد القرامطة – بسبب ما حصل فيها من انتهاك للحرمات .[6]

وقد نصّب الشريف نامي بن عبد المطلب نفسه أميراً على مكة المكرمة، وأشرك معه في الحكم الشريف عبد العزيز بن إدريس [*7]،وهو من بني عمومته على أن يشاركه في ربع الإمارة دون أن يشار إلى اسمه في الدعاء على المنبر، وكان ذلك في 26 شعبان سنة 1041هـ/17مارس 1632م [8]، وبدأ الشريف نامي بالتفكير بضم جدة، فأرسل إلى أميرها دلاور آغا[*9] ،بأن يسلمها، لكنه امتنع وعمل على تحصين بلدته[10]، ثم طلب المساعدة من العساكر الموجودين في بلدة سواكن . [*11]

()[1] ابن الوكيل: يوسف الملواني، تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، تحقيق محمد الششتاوي، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة1419هـ/1999م، ص131.

(*)[2]مر الظهران: من نواحي مكة المكرمة ويعتبر من أكبر أودية الحجاز، ويسمى وادي فاطمة يمر شمال مكة المكرمة ب22 كيلو متر، وعنده يجتمع وادي النخلتين فيصيران وادياً واحداً وفيه نخل كثير. أنظر: البلادي: معجم معالم الحجاز، ج1، ص233.

(*)[3]بدر: قرية عامرة من قرى الحجاز بأسفل وادي الصفراء على (155) كيلاً جنوب غرب المدينة المنورة، وهي ماء مشهور بين مكة والمدينة، به سميت بدر التي كانت بها المعركة المباركة الذي أظهر الله بها الإسلام وفرق بين الحق والباطل، وقد غزاها الشريف عبد المطلب بن غالب أمير مكة سنة 1268هـ/ 1851م، وبنى فيها قلعة وكانت إمرة البلد قبل الحكم السعودي عند الشريف ابن نامي ولا زالت ذريته هناك. أنظر: البلادي: معجم معالم الحجاز، ج1، ص.ص189-191.

()[4]المحبي: خلاصة الأثر، ج2، ص177. والشلي: عقد الجواهر والدرر، ص216.

()[5]السنجاري: منائح الكرم، ج4، ص144.

()[6]موقع أشراف الحجاز في المملكة العربية السعودية على الشبكة العنكبوتية.

(*)[7] هو الشريف عبد العزيز بن إدريس بن حسن أمير مكة أبو نمي الثاني، تولى إمارة مكة مشاركة مع الشريف نامي بن عبد المطلب توفي بالطاعون سنة 1063هـ/1653م. أنظر الحسني: أحمد ضياء بن محمد، موسوعة أعلام الأشراف في بلاد الحرمين، ط2، دار القاهرة للطباعة والنشر، القاهرة 2016م، ص343.

()[8]السباعي: تاريخ مكة، ج1، ص420

(*)[9]دلاور آغا: تولى إمارة جدة في عهد الشريف عبد الله بن حسن، وبعد نفيه من جدة توجه للدولة العلية ثم عاد نائباً للحرم النبوي، وتوفي في المدينة سنة 1102هـ. أنظر دحلان: أحمد زيني، خلاصة الكلام في بيان أمراء البيت الحرام من سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم إلى وقتنا بالتمام، تحقيق: أبو عبد الله محمد حسن محمد إسماعيل، ورأفت عبد العزيز، (د.ط)، مطبوعات الحرمين، (د.ت)، ص155.

[10] (4) الشلي: عقد الجواهر، ص216؛ والمحبي: خلاصة الأثر، ج2، ص177.

(*)[11] سواكن: بلد مشهور على الساحل الغربي للبحر الأحمر، له صلة تجارية وسياسية بمكة، أهم السلع التي تستوردها مكة منها الحبوب والماشية. أنظر الحموي: معجم البلدان، ج3، ص276.

أما الشريف نامي فجهَّز حملة كبيرة، وجمع عساكره الجلالية، واتجه بهم إلى جدة[1]، وفي يوم الأربعاء11رمضان سنة 1041هـ/ 31 مارس 1632م، حاصرها عدة أيام اضطر المدافعون عنها للاستسلام[2]،فدخلها الشريف نامي والعساكر الجلالية ومارسوا فيها أعمال السلب والنهب والقتل، أما أميرها دلاور آغا فقد قُبض عليه وعُذب ثم نفي من جدة، وهرب بعض جنوده إلى سواكن. [3]

نهاية فتنة الجلالية:

عندما وصل الشريف زيد بن محسن المدينة المنورة، انتدب أحد أبناء عمومته ويدعى علي بن هيزع [*4]،إلى والي مصر خليل باشا [*5] ،يطلب منه المساعدة، فاتصل علي برجال الدولة العثمانية في مصر، وسلَّم رسالة الشريف إلى والي مصر خليل باشا وضمَّنها تفاصيل ما حدث من العساكر الجلالية في مكة المكرمة ليقوموا بإيصالها إلى السلطان العثماني مراد الرابع[6]؛ ونظراً لما فعله العساكر الجلالية في مكة، فقد تسابق قادة الجيوش في مصر مبدين رغبتهم في التوجه إلى مكة المكرمة لتخليصها من هذه الفتنة، والقضاء على المخربين الذين استباحوا حرمة البلد الحرام[7]، فاختار خليل باشا؛ قاسم بك قائداً للحملة
،وألبسه قفطاناً[*8] وجعله سردار.[*9]

---

[1]() السنجاري: منائح الكرم، ج4، ص145.

[2]() الرشيدي: حسن الصفاء والابتهاج، ص187.

[3]() الصباغ: تحصيل المرام، ج1، ص.ص783- 784.

[4](*)علي بن هيزع: من كبار رجالات دولة أمير مكة الشريف مسعود بن إدريس بن حسن، كان يرسله في العديد من المهمات الداخلية والخارجية، أرسله الشريف زيد بمن محسن لمقابلة باشا مصر في شعبان سنة 1041هـ/1632م ليعرض عليه ما وقع بمكة المكرمة. أنظر الحسني: موسوعة أعلام أشراف بلاد الحرمين، ص467.

[5](*) خليل باشا: هو الوزير خليل باشا البستنجي تولى مصر في يوم الجمعة7ربيع الأول سنة 1041هـ- 22 رمضان 1042هـ/ 3 أكتوبر 1631-2 أبريل 1633م، إلى أن تم عزله فكانت مدة ولايته سنة وأشهر. أنظر عبد الغني: أحمد حلبي، أوضح الإشارات فيمن ولي مصر القاهرة من الوزراء والباشات، تحقيق فؤاد محمد الماوي، (د.ط)، دار الأنصار للتوزيع، القاهرة 1977م، ص173.

[6]() العواد: شروق بنت عبد الله، الأسواق التجارية في مكة من بداية الحكم العثماني إلى نهاية القرن الحادي عشر الهجري(923-1100هـ/1517-1688م)، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى قسم التاريخ بجامعة القصيم1436هـ/2015م، ص74.

[7]()ابن الوكيل: تحفة الأحباب، ص131.

[8](*) قفطان: لفظ تركي تسمى بالعربية الخلعة، وتعني نوع من الملابس الخارجية أو ما يسمى بالبشت أو العباءة أو الرداء الذي كان السلطان يكسيه على موظفيه أو ولاته أو وزرائه إعراباً عن رضائه عنهم، ولهذه الخلعة درجات وأنواع كانت أعالها ما تمنح من (فرو السمور). ويطلق على من يكلف بإلباس الخلعة للشريف قفطان آغاسي أي آغا الخلعة، كما أن الصدور العظام والوزراء كانوا يُلبسونها لمن يهمهم أمره. أنظر صابان: سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، ط1، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1421هـ/2000م، ص103؛ وهريدي: محمد عبد اللطيف، شؤون الحرمين الشريفين في العهد العثماني في ضوء الوثائق التركية العثمانية، ط1، دار الزهراء، القاهرة ،1410هـ/ 1989م، ص157.

[9](*)سردار: كلمة فارسية تتكون من قطعتين (سر) بمعنى رأس، و(دار) بمعنى ماسك، والمقصود ماسك الرأس أو صاحب الرأس، وصاحب رأس كل شيء قائده، وكان السلاطين العثمانيون يقودون الجيوش بأنفسهم في بادئ الأمر، ثم صاروا يعهدون بذلك إلى الصدور العظام والوزراء ثم إلى رجال الجيش، وكان الصدر الأعظم إذا خرج صحب معه طوائف الإنكشارية والقوة العسكرية المصاحبة للقافلة، حتى أُستحدث السردار فكان يرأس الفرقة العسكرية. أنظر السعيد: سليمان، أحمد، تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، (د.ط)، دار المعارف، القاهرة1979م، ص.ص127-128.

وفي يوم الجمعة 18 شوال 1041هـ/ 7 مايو 1632م، خرج قاسم بك على رأس جيش قوامه ثلاثة آلاف مقاتل، وخرج معه رضوان بك الشواربي أميراً للحاج (*1)،واجتمعوا في بركة الحاج (*2)مدة ثلاثة أيام(3)، ثم غادروا مصر متجهين إلى ينبع. (*4)

أرسل خليل باشا إلى الشريف زيد بن محسن بالخلعة(*5)، وطلب منه الاستعداد للالتحاق بالحملة القادمة من مصر، فبدأ الشريف بتجهيز أتباعه(6)، ثم التقى مع قاسم بك في ينبع وسارا حتى نزلا وادي فاطمة (*7)، ثم الجموم (*8)فخرج إليهم شيخ الحرم (*9)،ومعه مجموعة من العساكر يطلبون العفو وأن يمنحوا العلوفات (*1)،مقابل التعاون من حملة قاسم بك، إلا أنه رفض العفو عنهم.(2)

(*)[1] أمير الحاج: أول من تولى تلك الوظيفة عتاب بن أسيد وأبو بكر الصديق رضي الله عنهما، وتولاها الخلفاء الراشدون والأمويون والعباسيون، وفي العصر العثماني تولاها البكوات والتجار والعلماء والمماليك، وكان يصدر بتعينه فرمان سلطاني، ويكون– في الغالب – من الشباب الأقوياء اللذين يستطيعون الدفاع عن قافلة الحاج، والسفر والعودة بها، وغيرها من المهام الواجب عليه القيام بها، وكان له رواتب كبيرة وأوقاف، وهبات. أنظر القلقشندي: أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج11، (د.ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1972م، ص441؛ والجزيري: الأنصاري، درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، (د.ط)، المطبعة السلفية، القاهرة1344هـ/1964م، ص364.

(*)[2]بركة الحاج: من النواحي القديمة في مصر، وعرفت بأسماء كثيرة منها: جب عميرة وبركة الجب والبركة، وكان العامة يطلقون عليها في العصر المملوكي جب يوسف نسبة إلى يوسف عليه السلام، وأصبح اسم بركة الحاج هو الأشهر؛ لأنها كانت المحطة الأولى التي يجتمع فيها المسافرون من القاهرة، وتقع شمال القاهرة على بعد (22) كم، ومساحتها (500)، فدان. أنظر الششتاوي: محمد، منتزهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني، ط1، القاهرة1999م، ص183.

()[3]البكري: محمد أبي السرور، الروضة المأنوسية في أخبار مصر المحروسة، تحقيق عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، ص137.

(*)[4]ينبع: سميت بذلك لكثرة ينابيعها، وهي قرية غناء على يمين رضوى لمن كان منحدراً من المدينة إلى البحر، وتُعد ميناء على الساحل الشرقي للبحر الأحمر، وتبعد عن مكة 180 كم، وقد بلغ أوج ازدهارها أيام سلاطين المماليك، وكانت المحطة البرية والبحرية للحجاج من مصر والشام وتنقسم إلى قسمين: ينبع النخل، وينبع البحر. أنظر ابن شاهين: خليل الظاهري، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تحقيق: بولس راويس، المطبعة الجمهورية، باريس 1891م، ص168؛ والجاسر: حمد، بلاد ينبع، (د.ط)، دار اليمامة، الرياض1965م، ص12؛ والجاسر: حمد، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، (د.ط)، دار اليمامة، الرياض، ص 1558؛

(*)[5]الخلعة: كلمة عربية مشتقة من خلع أي خلع لباسه، والخلعة هي حِلَّة من حلل الحاكم يلبسها ثم يكف عن لبسها ويخلعها على من يريد تكريمه وكانت هذه الحلل فاخرة وثمينة، وتمنح لعمال الدولة إشعاراً بتوليهم مناصبهم. أنظر ل.أ.مائر: الملابس المملوكية، ترجمة: صالح الشيتي، (د.ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ت)، ص.ص101-114

()[6] البكري: النزهة الزهية، ج2، ص414.

(*)[7] وادي فاطمة: من نواحي مكة عندها يجتمع وادي النخلتين فيصيران وادياً واحداً، وهو آخر محطات الحاج المصري قبل وصوله إلى مكة المكرمة. أنظر الحموي: معجم البلدان، ج1، ص449

(*)[8] الجموم: عين متدفقة غزيرة المياه، كانت محطة رئيسية للحجاج، ثم أصبحت قرية ذات سوق عامرة، وتبعد عن مكة حوالي (22)، كم. أنظر البلادي: معجم معالم الحجاز، ج2، ص ص176-177.

(*)[9]شيخ الحرم: هو الشخص المسئول عن إدارة الحرم الشريف بمكة المكرمة، ويعين من قِبَل الخليفة، وهو اللقب الذي أطلق على ولاة الشام نظراً لمسؤوليتهم عن وصل قافلة الحجاز سالمة، بسبب وقوعها على طريق الحج. أنظر صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، ص142.

وعندما وصلت أخبار قرب الحملة من مكة المكرمة ندب الشريف نامي بن عبد المطلب بعضاً من خيالته مع عدد من الهجانة ليكشفوا له عن قوتها وتفاصيلها، وبعد اقترابهم من أماكن تواجدها في وادي فاطمة انكشف أمرهم وتمكَّن عدد من أفراد الحملة من الإحاطة بهم وقتل بعضهم، بينما فرَّ الباقون إلى مكة المكرمة، ونقلوا تفاصيل ما رأوه من قوة الحملة العسكرية إلى الشريف نامي وأعوانه من قادة الجلالية وحذروه من مغبة قتالهم؛ بسبب عدم تكافؤ القوة العسكرية بين الطرفين، فاضطربت الأمور في مكة وانقسم العساكر الجلالية، فمنهم من رأى القتال، ومنهم رأى الخروج من مكة .[3]

وفي يوم الأربعاء 5 ذي الحجة سنة 1041هـ/ 22 يونيو 1632م، خرج الشريف نامي بن عبد المطلب مع العساكر الجلالية إلى خارج مكة وتحصنوا في إحدى القرى، بينما فرَّ الشريف عبد العزيز بن إدريس إلى ينبع مع عدد من أتباعه.[4]

أما مكة المكرمة فباتت خاليه من الشريفين ومن العساكر الجلالية، وتنتظر دخول القادمين إليها، فبادر الشريف أحمد بن قتادة[*5] ،بالتطوع لترتيب الأمور والمحافظة على السكينة والاستقرار داخل مكة المكرمة، وحراسة البلاد وضمان أمن الحجاج، ثم أرسل للشريف زيد بأن مكة استعدت لاستقباله.[6]

وفي الصباح الباكر من يوم الخميس 6 ذي الحجة سنة 1041هـ/23 يونيو 1632م، أقبل الشريف زيد في موكب حافل تتقدمه صناجق الأتراك المصرية حتى نزل في دار السعادة[*7]، وفي ضحى اليوم نفسه ذهب إلى المسجد الحرام، فجلس في السبيل بجوار زمزم، ومعه عدد من الأمراء، ولم يجدوا من العساكر الجلالية إلا من لم يجد ما يركبه فقتلوهم عن آخرهم وكانوا فوق المائة[8]، ثم أعلن الشريف زيد بن محسن بأن البلاد بلاد الله، وبلاد السلطان مراد، وأنه أصبح أميراً على مكة المكرمة.[9]

أما معظم العساكر الجلالية فقد هربوا خارج مكة، فطلب قادة الحملة العسكرية الخروج إليهم وملاحقتهم وقتالهم لكن الأمير زيد أمرهم بالبقاء لأداء المناسك مع جموع المسلمين، ثم تعقبهم بعد أداء مناسك الحج.[10]

(*)[1]العلوفات: مصطلح عثماني يعني المرتب الشهري. أنظر عامر: محمود، المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مجلة دراسات تاريخية، العددان117-118، كانون الثاني، دمشق2012م، ص22.

()[2] عبد الغني: أوضح الإشارات، ص174.

()[3] السنجاري: منائح الكرم، ج4، ص.ص153-154.

()[4]الغازي: إفادة الأنام، ج4، ص405؛ والسباعي: تاريخ مكة، ج1، ص.ص421-422.

[5](*) أحمد بن قتادة: هو الشريف أحمد بن قتادة بن أمير مكة أبو نمي الثاني محمد بن بركات الحسني من قادة الأشراف ورؤوسهم. أنظر آل زيد: مسعود بن محمد، تاريخ مكة المكرمة في عهد الأشراف آل زيد1041-1299هـ/1631-1881م، دار القاهرة للنشر، القاهرة2005م، ص76.

()[6]المطوع: إقبال بنت عبد العزيز، إمارة المدينة المنورة في العصر العثماني الأول922-1220هـ، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد الثامن والعشرون، محرم-ربيع الأول1430هـ-يناير-مارس2009م، ص.ص114-116.

[7](*) دار السعادة: مقر الحكم، ويذكر أن الشريف حسن بن أبي نمي بنى دار السعادة منزلاً له، ثم صارت مقراً لكل من يتولى الشرافة من آل زيد، وتقع أمام باب أم هاني. أنظر السباعي: تاريخ مكة، ج2، ص349.

()[8]ابن الوكيل: تحفة الأحباب فيمن ولي مصر من النواب، ص132.

()[9]العصامي: سمط النجوم العوالي، ج4، ص446.

()[10] الرشيدي: حسن الصفاء والابتهاج، ص196.

وبعد أن أدى الأمير زيد بن محسن وأتباعه، وجنود الحملة العسكرية مناسك الحج، بدأ بترتيب الأوضاع الداخلية في مكة المكرمة محاولاً تثبيت حكمه فيها، ثم قدم إليه بعض العساكر الجلالية الذين انشقوا عن مجموعتهم، وطلبوا منه العفو عنهم بشفاعة أمير الحج الشامي إبراهيم باشا[*1]،فعفا عنهم .[2]

وفي يوم الثلاثاء الثاني من محرم سنة 1042هـ/ 19يوليو 1632م، اجتمع في المسجد الحرام الأمير زيد بن محسن وقادة الحملة العسكرية القادمة من مصر، وجمع من السادة الأشراف، والفقهاء والأعيان، وتشاوروا في أمر العسكر الجلالية، فقرَّروا ملاحقة العساكر الجلالية وقتالهم والقضاء عليهم ، فتحركت الحملة بقيادة الشريف زيد بن محسن وأدركوهم في بلدة تربة[*3]فتقاتل الفريقان من الصبح حتى قرب الظهر فقُتل من العساكر الجلالية نحو المائة رجل، وتقهقر الباقون داخل قلعة تربة، فأحكموا الحصار عليهم، وقطعوا مجرى الماء الذي كان يدخل القلعة، كما أحكموا السيطرة على الآبار التي كانوا يشربون منها، مما أدى إلى موت ما يقرب من المائتين عطشاً [4]، ومع اشتداد الحصار وتضييق الخناق عليهم، أُجبروا على الخروج للقتال، ولكن الضعف كان قد بلغ بهم مبلغاً، فخرج بعضهم بعد أن أعلن الشريف الأمان لمن يستسلم، ثم هاجم بقواته القلعة فدخلوها عنوة، وقُبض على من تبقى فيها.[5]

وبهذا تمكن الشريف زيد بن محسن وبدعم من الحملة العسكرية القادمة من مصر من القضاء على العساكر الجلالية والعودة إلى حكم مكة المكرمة.[6]

الجدير ذكره أن علي بك أحد قادة الجلالية تواصل مع الشريف زيد بن محسن لتسليم نفسه مقابل التعاون معه لاستدراج قائد العساكر الجلالية؛ كور محمود، فاستدرجوه وقبضوا عليه[7]، كما قُبض على الأمير نامي، وعرض موضوعهما على المفتي في مكة المكرمة لتقرير مصيرهما، فأفتى بقتلهما شنقاً وتعليق جثتيهما، فنفذ الحكم في آخر شهر محرم سنة 1042هـ/يوليو1632م، وبهذا قُضي على فتنة العساكر الجلالية. [8]

---

[1] (*) إبراهيم باشا: هو إبراهيم بن عبد المنان، المعروف بالدفتر دار، أحد كبراء دمشق، وأمير الركب الشامي. توفي سنة 1043هـ/1633م. أنظر دحلان: زيني، خلاصة الكلام، ج1، ص.ص-ص29-30.

[2] () العصامي: سمط النجوم العوالي، ج4، ص446.

[3] (*) تربة: بلدة عامرة في وادي تربة بالقرب من مكة على مسافة يومين منها، ولواديها ذكر في خبر عمر رضي الله عنه؛ حيث أنفذه رسول الله صلى الله عليه وسلم غازياً حتى بلغ تربة. وفي تربة معركة شهيرة سنة 1337هـ/1957م بين جيش الحجاز بقيادة عبد الله بن الحسين والملك عبد العزيز، وكان النصر فيها للملك. أنظر البلادي: معجم معالم الحجاز، ج2، ص20-23؛ والعثيمين: عبد الله بن صالح، معارك الملك عبد العزيز المشهورة لتوحيد البلاد، ط3، (ب.ن)، الرياض1419هـ/1998م، ص169

[4] ()ابن الوكيل: تحفة الأحباب، ص132.

[5] () الغازي: إفادة الأنام، ج4، ص405.

[6] () العصامي: سمط النجوم العوالي، ج4، ص.ص446-447.

[7] () السنجاري: منائح الكرم، ج4، ص.ص155-157.

[8] ()الشلي: الأرج المسكي، ص133.

وبهذا النصر عمَّ الفرح والسرور أرجاء مكة المكرمة، وزُينت أسواقها، واستمرت الاحتفالات سبعة أيام، واستتب الأمن[1]، واستقرت الأوضاع للشريف زيد بن محسن، ودانت له القبائل الموجودة في الحجاز.[2]

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والحمد لله الذي وفقني لإكمال هذه الدراسة التي سلطت الضوء على إحدى الوقائع المهمة في تاريخ مكة المكرمة خصوصاً، والحجاز عموماً؛ ورغم أهميتها لكنها مغمورة في بطون المصادر التاريخية، وهي فتنة الجلالية الكبرى وقد نتج عن هذه الحادثة التاريخية أن استبيحت مكة المكرمة، وسفكت الدماء، وهُددَّ أمن وسلامة الحجاج والمعتمرين، فضلاً عن انعدام الأمن في البلد الحرام وما حوله عموماً.

وتوصَّلت الدراسة إلى عدد من النتائج؛ من أبرزها ما يلي:-

1. فصَّلت الدراسة القول عن "فتنة الجلالية" المغمورة في بطون المصادر التاريخية، والتي لم تر النور، ولم تفرد بدراسة مستقلة – حسب علم الباحث- رغم أهميتها.
2. أوضحت الدراسة أن "فتنة الجلالية" من الوقائع المعدودة التي تعرَّضت فيها مكة المكرمة للاعتداء، والسلب والنهب، فضلاً عن سفك الدماء، فلم ترعَ حرمتها ولا قدسيتها من قِبَل المعتدين.
3. أبرزت الدراسة أثر الصراعات الداخلية على السلطة في تسلط الأجنبي، وإعطائه الذريعة في السيطرة والحكم، وهذا ما لاحظناه من خلال استعانة بعض الأشراف بأطراف خارجية ضد حكام مكة طمعاً في الحكم.
4. كشفت الدراسة عن الآثار السلبية- الاجتماعية والاقتصادية- لفتنة الجلالية على مكة المكرمة.
5. بيَّنت الدراسة الدور الكبير الذي قامت به قوات مصر العثمانية في القضاء على العساكر الجلالية، وإعادة الاستقرار إلى الأراضي المقدسة وتأمين حجاج بيت الله الحرام.
6. أبرزت الدراسة جانباً من العناية الإلهية بهذه البقعة المقدسة، وأن الله تكفَّل بحمايتها من كل خارج أو مفسد.

([1])العصامي: سمط النجوم، ج4، ص.ص446-447.

([2]) السباعي: تاريخ مكة، ج1، ص423.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

1. الأزرقي: أبو الوليد، (ت837هـ/1433م)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، ط5، دار الثقافة، مكة المكرمة، 1408هـ/1988م.
2. البكري: محمد بن أبي السرور(ت1087هـ/1676م)، الروضة المأنوسية في أخبار مصر المحروسة، تحقيق عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى، ط1، مكتبة الثقافة الدينية.
3. البكري: محمد بن أبي السرور(ت1087هـ/1676م)، النزهة الزهية في ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية، تحقيق: حياة بنت مناور الرشيدي، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1418هـ/ .1997م.
4. البكري: محمد بن أبي السرور(ت1087هـ/1676م)، نصرة أهل الإيمان بدولة آل عثمان، تقديم وتحقيق وتعليق: سليم أبو جابر، ط1، مجمع القاسمي للغة العربية، الأمارات العربية المتحدة، 1423هـ/2012م.
5. البهوتي: منصور بن يونس بن إدريس(ت1051هـ/1641م)، إعلام الأعلام بقتال من انتهك حرمة البيت الحرام، تحقيق: جاسم بن سلمان الدوسري، ط1، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1409هـ/ 1988م.
6. الجزيري: عبد القادر بن محمد الأنصاري(ت977هـ/1569م)، درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، (د.ط)، المطبعة السلفية، القاهرة،1334هـ/1925م.
7. الحموي: ياقوت بن عبد الله (ت626هـ/1228م)، معجم البلدان، (د.ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1399هـ/1979م.
8. الرشيدي: أحمد (ت1178هـ/1676م)، حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج، تحقيق: ليلى عبد اللطيف أحمد، (د.ط)، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980م.
9. السنجاري: علي بن تاج الدين بن تقي الدين(ت1125هـ/1713م)، منائح الكرم في أخبار مكة وولاة الحرم، دراسة وتحقيق: ماجدة فيصل زكريا، ج4، ط1، مكة المكرمة، جامعة أم القرى ،1419هـ/1998م.
10. الشلي: محمد بن أبي بكر بن أحمد(ت1093هـ/1682م)، عقد الجواهر الدرر في أخبار القرن الحادي عشر، تحقيق: إبراهيم محمد المقحفي، ط1، مكتبة تريم الحديثة، مكتبة الإرشاد، صنعاء ،1424هـ/2003م.
11. ابن شاهين: خليل الظاهري(ت1488/893م)، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تحقيق: بولس راويس، (د.ط)، المطبعة الجمهورية، باريس، 1891م.

12. الطبري: علي بن عبد القادر(ت1070هـ/1660م)، الأرج المسكي في التاريخ المكي وتراجم الملوك والخلفاء، تحقيق: أشرف أحمد جمال، (د.ط)، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، 1416هـ.

13. عبد الغني: أحمد حلبي(1150هـ/1737م)، أوضح الإشارات فيمن ولي مصر القاهرة من الوزراء والباشات، تقديم وتحقيق وتعليق: فؤاد محمد الماوي، (د.ط)، دار الأنصار للتوزيع، القاهرة، 1977م.

14. العصامي: عبد الملك بن حسين بن عبد الملك(ت1111هـ/1699م)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد عوض، منشورات: محمد علي بيضون، ج4، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،1419هـ/1998م.

15. ابن القاسم: يحيى بن الحسين(ت1100هـ/1689م)، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق وتعليق: سعيد عبد الفتاح عاشور، مراجعة: محمد مصطفى، ج2، ط1، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1388هـ/1968م.

16. القلقشندي: أحمد بن علي(ت821هـ/1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، (د.ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1972م.

17. المحبي: محمد الأمين بن فضل الله بن محب الله(ت1111هـ/1699م)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر،ج3، (د.ط)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت).

18. الموزعي: عبد الصمد بن إسماعيل(ت نحو 1010هـ/1601م)، الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل آل عثمان، دراسة وتحقيق: سيام يونس زيدان، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، الجامعة الأردنية، 1979م .

19. الموسوي: رضي الدين بن محمد بن علي بن حيدر(ت1163هـ/1752م)، تنضيد العقود السنية بتمهيد الدولة الحسنية، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، ج2، ط1، معهد الدراسات لتحقيق أنساب الأشراف، إيران، 1431هـ

20. الموسوي: محمد بن عبد الله الحسيني(ت1070هـ/1659م)، رحلة الشتاء والصيف، حققها وقدمها وفهرسها: محمد سعيد الطنطاوي، ط2،المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دمشق- بيروت، 1385م.

21. ابن الوكيل: يوسف الملواني(ت1131هـ/1718م)، تحفة الأحباب فيمن ولي مصر من النواب، تحقيق: محمد الششتاوي، ط1،دار الآفاق العربية، القاهرة، 1419هـ/1999م.

ثانيا: المراجع:

1. باشا: أيوب صبري، موسوعة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب، أشرف على ترجمتها: محمد حرب، (د.ط)، دار الآفاق العربية، (د.ت).

2. البلادي: عاتق بن غيث(ت1431هـ/2010م)، بين مكة واليمن رحلات ومشاهدات، ط2، دار مكة، مكة المكرمة، 1404هـ.

3. البلادي: عاتق بن غيث(ت1431هـ/2010م)، معجم معالم الحجاز، ط1، دار مكة، مكة المكرمة، 1402هـ.

4. بيومي: محمد علي فهيم، مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني(923-1220هـ/1517-1805م)، دار القاهرة للكتاب، القاهرة1421هـ/2001م.
5. جارشلي: إسماعيل حقي، أشراف مكة المكرمة وأمرائها في العهد العثماني، ترجمه عن التركية: خليل علي مراد، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 1424هـ/2003م.
6. الجاسر: حمد، بلاد ينبع، (د.ط)، دار اليمامة، الرياض، 1965م.
7. الجاسر: حمد، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، (د.ط)، دار اليمامة، الرياض، (د.ت).
8. الحسني: أحمد ضياء بن محمد، موسوعة أعلام الأشراف في بلاد الحرمين، ط2، دار القاهرة للطباعة والنشر، القاهرة 2016م.
9. حلاق: حسن وزميله، المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية، ط1،دار العلم للملايين، بيروت،سبتمر1999م.
10. دحلان: أحمد زيني (ت1304هـ/1886م)، خلاصة الكلام في بيان أمراء البيت الحرام من سيدنا النبي ﷺ إلى وقتنا بالتمام"، تحقيق: أبو عبد الله محمد حسن محمد إسماعيل، ورأفت عبد العزيز ، (د.ط)، مطبوعات الحرمين،(د.ن).
11. الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد(ت1396هـ/1976م)، الأعلام، ط6، دار العلم للملايين، بيروت،1404هـ/ 1984م.
12. آل زيد: مسعود بن محمد، تاريخ مكة المكرمة في عهد الأشراف آل زيد(1041-1299هـ/1631-1881م)، دار القاهرة للنشر، القاهرة ،2005م.
13. سالم: سيد مصطفى، الفتح العثماني الأول لليمن، ط5، دار الأمين للطباعة والنشر، القاهرة، 1999م.
14. سالم: سيد مصطفى، مراحل العلاقات اليمنية السعودية 1158-1353/1745-1934م، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة2003م.
15. السباعي: أحمد محمد(ت1404هـ/1984م)، تاريخ مكة (دراسات السياسة، العلم، الاجتماع، العمران)، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، ج1، ج2، ط2، مكة المكرمة، 1419هـ/1999م،
16. الصباغ: محمد بن أحمد بن سالم بن محمد المكي(ت1321هـ/1903م)، تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام، دراسة وتحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ج1، ط1، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، 1424هـ/2004م.
17. السعيدي: سليمان أحمد، تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، (د.ط)، دار المعارف، القاهرة، 1979م.
18. الششتاوي: محمد، منتزهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني، ط1، القاهرة1999م.
19. صابان: سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مراجعة: عبد الرزاق محمد حسن بركات، ط1، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1421هـ/2000م.

20. العبد: عفاف مسعد السيد، دور الحامية العثمانية في تاريخ مصر (1564-1609هـ)، سلسلة تاريخ المصريين، العدد (179)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،2000م.

21. العثيمين: عبد الله بن صالح، معارك الملك عبد العزيز المشهورة لتوحيد البلاد، ط3، ب.ن، الرياض1419هـ/1998م.

22. عمر: عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي(1516-1922م)، (د.ط)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1992م.

23. الغازي: عبد الله (ت1365هـ/1945م)، إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، تحقيق: عبد الملك عبد الله دهيش، ج3، ط1، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، 2009م.

24. ل،أ: مائر، الملابس المملوكية، ترجمة صالح الشيتي، مراجعة عبدالرحمن فهمي،(د.ط)،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، (د.ت)

25. المحامي: محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت،1401هـ/1981م.

26. المعبدي: مبارك محمد، النشاط التجاري لميناء جدة خلال الحكم العثماني، ط1، النادي الأدبي الثقافي، جدة، 1413هـ/1993م.

27. هريدي: صلاح، دور الصعيد في مصر العثمانية، (د.ط)، دار المعارف، القاهرة، 1984م،

28. هريدي: محمد عبد اللطيف، شؤون الحرمين الشريفين في العهد العثماني في ضوء الوثائق التركية العثمانية، ط1، دار الزهراء، القاهرة1410هـ/ 1989م.

ثالثاً: الرسائل العلمية:

1. الدربي: محسن محمد عائض، الوجود العثماني في اليمن 1538-1635م قراءة جديدة من خلال الوثائق العثمانية، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق، 2010-2011م.

2. العواد: شروق بنت عبد الله، الأسواق التجارية في مكة من بداية الحكم العثماني إلى نهاية القرن الحادي عشر الهجري(923-1100هـ/1517-1688م)، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى قسم التاريخ بجامعة القصيم1436هـ/2015م.

رابعاً: الدوريات:

1. الحميدان: تركي بن حميدان، آثار نظام الحكم العثماني الأول في اليمن945-1045هـ/1538-1635م، مجلة وقائع تاريخية العدد28، كلية الآداب، جامعة القاهرة يناير2018م.

2. الزيلعي: أحمد بن عمر، محافظة القنفذة من كتاب الرحلة اليمانية لشرف بن عبد المحسن البركاتي مع التركيز على معركة عجلان الفاصلة، مجلة المؤرخ العربي، العدد28، أكتوبر2020م، الناشر اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة.

3. عامر: محمود، المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مجلة دراسات تاريخية، العددان117-118، كانون الثاني، دمشق2012م.

4. عبد السلام: أيمن أحمد عبد الفتاح، دور مصر في الصراع على الحكم بين أشراف الحجاز: أزمة الشريف حمود مع الشريف سعد1077هـ/1666م، أنموذجا، الناشر جامعة الأزهر، مج3، كلية اللغة العربية بالزقازيق2018م.
5. غربال: شفيق، مصر عند مفرق الطرق 1798 - 1801 المقالة الأولى: ترتيب الديار المصرية في عهد الدولة العثمانية، كما شرحه حسين أفندي أحد أفندية الروزنامة في عهد الحملة الفرنسية، نشره محمد شفيق غربال، مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية، القاهرة مايو 1936م.
6. المطوع: إقبال بنت عبد العزيز، إمارة المدينة المنورة في العصر العثماني الأول(922-1220هـ)، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد الثامن والعشرون، محرم-ربيع الأول1430هـ-يناير-مارس2009م.

خامساً: المواقع الإلكترونية:

1. موقع أشراف الحجاز في المملكة العربية السعودية.